المحاضرة الثّالثة: الرّواية العربية في مرحلة النّضج والإبداع الفنّي.

بعد رواية زينب في مرحلة الإبداع، نتالت الرّوايات في الفترة ما بين الحربين سواء على مستوى الموضوعات أو التّقنيات الفنّية، فقد خُلق جوّ جديد وذوق مختلف عن سابقه، و تطلّب بناء وأساليب جديدة للتّعبير عن هذه التّحولات الجديدة. وممن نذكر في هذه المرحلة:

- طه حسين ومن أعماله السّردية «الأيام (1929م)»، و «دعا الكروان (1941م)»

- توفيق الحكيم الذي علي بتصوير الواقع والمشكلات الاجتماعية. ومن آثاره: «عودة الرّوح (1931م)»، «يوميات نائب في الأرياف (1937م)»، «عصفور من الشّرق (1938م)».

- محمود تيمور الذي اهتم بقضايا ما وراء الطبيعة والرّوحانية الشّرقية في رواية «نداء المجهول (1939م)»، كما عني بقضايا اجتماعية و نزعات إنسانية في رواية «سلوى في مهبّ الرّيح». .

- عيسي عبيد «ثريا (1922م)»، طاهر لاشين «حواء بلا آدم (1934م)»، محمد تيمور و غيرهم كثير.

ومن الظوّاهر اللّافتة للنّظر في هذه المرحلة ظهور اتجاه التّحليل النّفسي وتبيّن أثره على الأدب، حمل لواء هذا الاتجاه العقّاد والمازني، وذلك بتأثرّهما بمدرسة التّحليل النفسي الغربي، أين تمكّنا وضع قواعد في تأليف وتحليل القصص والرّوايات. فمن آثار المازني: «ابراهيم الكاتب (1931م)»، ابراهيم الثاني»، «عود على بدء (1943م)»،...، و من آثار العقاد: رواية «سارة (1938م)» التي هي صورة واضحة من منهج العقاد التّحليلي.

بدأ الوعي القومي والإحساس بالشّخصية في البلاد العربية بتأثير مصر، أين ظهرت في لبنان قصص وروايات،عالجت القضايا القومية والمشاكل الاجتماعية؛ كرواية «العمال الصّالحون (1927م)» لإلياس أبو شبكه، حيث تصوّر فيها انتحار طفل في السّابعة من عمره ليتخلّص من حياة الشقاء التي تسومه إياها امرأة أبيه. ثم كرم ملحم كرم ومن رواياته «بونا أنطوان (1937 م)»، «صرخة الألم (1939م)»، «الشيخ قرير العين (1944م)»، «دمعة يزيد»، «صقر قريش»، «قهقهة الجزائر» و... وقد جمع في رواياته الاتجاه التاريخي والاجتماعي، ومن الأعلام الآخرين للقصّة والرّواية اللبنانية في هذه الفترة لطفى حيدر، و له رواية «عمر أفندي (1937م)»، فقد تصوّر فيها كوارث اجتماعية للحرب العالمية الأولى، ومنهم أحمد مكى، ومن أعماله «النداء البعيد (1939م)»، تتمحوّر الرّواية حول اختلاف الأديان؛ حيث يمنع من زواج متحابين. كذلك نذكر توفيق عواد الذي اعتبر قمة الرّوائيين اللّبنانيين في هذه الفترة، ومن أهم آثاره: «الرّغيف (1939م)»، و يدور موضوعها حول صراع العرب من أجل استقلالهم.

أمّا البلدان العربية الأخرى ، فقد خطت خطوات هامة في مجال القصّة والرّواية في هذه الفترة، ففي سوريا ظهرت جهود لافتة للنظر، ومن أهمها أعمال معروف الأرناؤوط التاريخية؛ كرواية «سيد قريش (1929م)»، «عمر بن الخطاب (1936م)»، إلّا أنّها من النّاحية الفنّية أقرب إلى جهود الفترة الأولى، وإن تمّت زمنية إلى هذه الرّحلة. كما أنّ العراق والأردن والسّودان أيضا لها قصص وروايات، لكنّها تقل عن البلدان السّابقة من ناحية الكمّ والكيف.

ساعدها في ذلك ظهور جيل مثقّف جديد، حمل أفكارا أكثر اختلافا فقد أتيح لهم الاطلاع على المناهج وطرائق البحث العلمي والأكاديمي، كما أتيحت الفرصة للاطلاع على أنواع الدراسات النّفيسة والتّحليلية والرمزية، والأهم من هذه كلّها أتيحت فرصة الاطلاع على اللّغات الأجنبية والدّراسات الواسعة في ميادين الأدب والقصص والفروع المختلفة للفكر الأوربي بلغاته الأصلية.

كان للجامعة المصرية فضل أساسي في تمهيد هذه كلّه، إذ هيّأت جيلا حسب الأصول العلمية و ولمناهج الأكاديمية الحديثة مهتمة بأنواع العلوم كعلم النّفس والفلسفة والاجتماع والتّاريخ، وجعلها في متناول اليد؛ زد على ذلك الدّعوة إلى الحرية في التّفكير والإشادة بالقيم الدّيمقراطية التي عني بطرحها الأساتذة الجامعيون على هذا الجيل، كل هذه أخرج جيلا جديدة من الكتّاب اتجه في كتاباته نحو الواقعية مستعينا بقوي العقل والمنطق في مواجهة الأحداث والمشكل والتعبير عنها، وابتعد عن تلك النّزعة الرّومانتيكية السابقة. وأغلب كتّاب هذه الفترة أنّهم كانوا من خريجي الجامعة، منهم: علي أحمد بكثير خريج في قسم اللّغة الإنكليزية؛ عبدالحميد جودة السّحار خريج كلية التّجارة والاقتصاد؛ يوسف السّباعي خريج الكلية الحربية؛ إحسان عبدالقدوس خريج كلية الحقوق؛ يوسف إدريس خريج كلية الطبّ، و قمة روائيي هذه المرحلة نجيب محفوظ خريج كلية الآداب، قسم الفلسفة؛ عبدالرحمن منيف الدّكتوراه في العلوم الاقتصادية .

والنّقطة الهامة في أعمال هؤلاء الروائيين أنّهم تخلصوا إلى حد بعيد من العيوب التي كانت في أعمال المراحل السّابقة من الناحية الفنية، كما حاولوا التّخلص من عقدة الانبهار والإعجاب بالثّقافة الغربية، ومن الخطف السّريع لثمار الفكر الأوربي دون أن يكون على وعي ومنهجية، ورغم كلّ هذه التّطورات الطارئة على القصة والرّواية العربية من ناحية البناء الفنّي إلّا أنّها مازالت تحتاج إلى الاكتمال في تشكيل بنائها الفني، إذ هي لم تخرج في معظمها عن قصص وروايات شخصيات أو أحداث، كما أنّها لم تكتمل بعد من ناحية الأسلوب حيث تراوح أسلوبها بين التصوير، وهو طابع الأسلوب الرّوائي و بين التقرير، وهو طابع المقالة.

ومن الأعمال الروائية في هذه المرحلة نذكر:

- نجيب محفوظ وله عدة روايات منها:- عبث الأقدار (1943)/كفاح طيبة (1944)/القاهرة الجديدة (1945م)//(خان الخليلي (1946م)مزقاق المدق (1947م)/(/السراب (1948م) بين القصرين (1956م)/قصر الشوق (1957م)/السكرية (1957م)/اللّص والكلاب (1961)/السّمان والخريف (1962م) الطريق (1964م)/الشحاذ (1965م) (ثرثرة فوق النيل)(1966م) ميرامار (1967م)/حضرة المحترم (1975م).

- واسيني الأعرج: رواية البوابة الزرقاء وقائع من أوجاع رجل. 1980م/رواية طوق الياسمين ووقع الأحذية الخشنة1981 م/ رواية ما تبقى من سيرة لخضر حمروش. دمشق 1982م./ رواية نوار اللوز . بيروت 1983م/ رواية الليلة السابعة بعد الألف :الكتاب الأول: رمل الماية .دمشق/الجزائرم1993م/ (رواية رماد الشرق) الجزء الأول: خريف نيويورك الأخير 2013م./ الجزء الثاني : الذئب الذي نبت في البراري م2013.

- يوسف إدريس وله عدة روايات منها الحرام، القاهرة، سلسلة "الكتاب الفضي"، دار الهلال، 1959./ البيضاء، بيروت، دار الطليعة، 1970م. - علي أحمد باكثير سلامة القس. وإسلاماه./ الثائر الأحمر.

- إحسان عبد القدوس الوسادة الخالية، دار روز اليوسف، 1955م. في بيتنا رجل، دار روز اليوسف، 1957م. قصة طويلة. لن أعيش في جلباب أبي، مكتبة غريب، 1982م.

وأمّا على المستوي الشّكلي، فظهرت تنويعات في أساليب السّرد وتعدّد التّقنيات في المزج بين الوصف و التذكر والمشاهد الحوارية و... ممّا جعل القصّة والرّواية العربيتين تنفصل أكثر فأكثر عن التّقليد الأوربي، وجعلها تعرف التّطور والتّقدم كمثيلتها الأوربية، الأمر الذي أتاح ظهور مرحلة جديدة في السّرد الروائي العربي ، مفعمة بالتّجريب ومتسارعة من حيث الأفكار وغزيرة من حيث الإنتاج، ناهيك عن انتشار ها في كافة الأقطار العربية دون أن تظلّ حكرا على بعض الدّول المشرقية كما كانت في المراحل السّابقة لأسباب كثيرة.